نضال الشعب

الاثنين 2026/7/27 دورية أسبوعية شاملة تصدر عن جبهة النضال الشعبي الفلسطيني العدد رقم (197)

د. مجدلاني يهنئ مصر بذكرى «ثورة 23 يوليو» مثمنا دورها في دعم القضية الفلسطينية في المحافل الدولية

الحماية الدولية ليست ترفا سياسيا ودبلوماسيا

افتتاحية العدد

مجزرة يوم الجمعة في قرية تل، شمال الضفة الغربية، وما تلاها من إجراءات اقرها الكابينت المصغر برئاسة نتياهو لتوفير مزيد من الدعم والحماية لعصابات المستوطنين وانفلاتهم على مناطق اخرى لبث الرعب والخوف وجعل خيار الرحيل امام المواطنين الفلسطينين هو الأرجح لحماية أرواحهم بعد تدمير ممتلكاتهم وسرقتها، ولتعمق هذه الإجراءات الفصل بين المدن والقرى الفلسطينية، والشروع ببناء مستوطنات جديدية بسباق محموم مع الزمن لفرض وقائع يجعل من الصعب ان لم يكن من المستحيل تغييرها لاحقا.

هذا التصعيد من حدة ارهاب المستوطنين كما ونوعا بدعم واسناد من حكومة الثلاثي نتينياهو بن غفير سموترتيش هي عمليا وواقعيا سياسة رسمية يقوم بتطبيقها جيش الاحتلال الإسرائيلي، وميلشياتهم المسلحة المنتشرة بأرجاء الضفة الغربية المحتلة لفرض سياسة الضم الزاحف والتطهير العرقي.

التصاعد الأخير بعمليات الهجوم على القرى وحرق المحاصيل وسرقة المواشي والأعتداء على المواطنيين المدنيين الفلسطينين وقتلهم بدم بارد بشهادات موثقة من مؤسسات دولية وحقوقية محلية ودولية مرتبط قبل كل شيء بقرار حل الكنيست والتوجه للإنتخابات بأواخر أكتوبر القادم، الذي يشكل المسارعة بتطبيق خطة الحسم بالضفة الغربية، مع نجاح خطتهم لفصل قطاع غزة وتقسيمه لقطع الطريق امام امكانية التقدم لاحقا مع أي حكومة اسرائيلية جديدة بمسار سياسي يؤدي لحل الدولتين طبقا لقرارات الشرعية الدولية ذات الصلة بالقضية الفلسطينية.

الأستعجال قبل الأنتخابات ربما باعتقادهم يوفر فرصة أكبر لكسب المزيد من أصوات المتطرفين الذي تشير استطلاعات الراي العام الأخيرة بإسرائيل الى توزعهم بل تشرذمهم باتجاهات مختلفة، علاوة على محاولة توحيد وتعزيز قوة معسكر اليمين والفاشيين الجدد في مواجهة التآكل اليومي بشعبيته.

كما إن هذا التصعيد جاء متزامنا مع الإعلان عن زيارة نتنياهو المؤجلة للبيت الأبيض وحضور جنازة السيناتور ليندسي غراهام، بهدف الحصول على دعم ترامب وعدم اغضابه من مواصلة هذه السياسية بالضفة الغربية التي قد تعرض خطط الأخير وتحرجه في سعيه لتقوية جبهة الحلفاء من الدول العربية بمواجهة إيران لفرض شروط الإتفاق عليها بما يخدم المصالح الاستراتيجية للولايات المتحدة بالمنطقة.

ادعاء نتنياهو أمام ترامب بموصلة مكافحة الإرهاب بالضفة كما هو الحال في قطاع غزة يمنحه المزيد من شراء الوقت الذي يعتقد انه مفيد للغاية لإعادة حشد قواه وترتيب أوراقه قبل انتخابات أكتوبر القادم.

الدعوات التي اطلقتها القيادة الفلسطينية في سياق مواجهة هذا التصعيد غير المسبوق بتوفير الحماية الدولية للشعب الفلسطيني ليست مطلبا جديدا، ولا خيار تم اكتشافه مؤخرا من جملة من الخيارات الآخرى التي سعت لها الدبلوماسية الفلسطينية منذ سنوات طويلة، بما في اللجوء الى الجمعية العامة للأمم المتحدة التي اعتمدت في حزيران 2018 قرارا لتوفير الحماية الدولية للشعب الفلسطيني باغلبية 120 صوتا، بعد ان استخدمت الولايات المتحدة الفيتو بمجلس الامن واجهضت مشروع قرار مشابه، وليطلب من الأمين العام للأمم المتحدة بتقديم مقترحات حول سبل ووسائل ضمان سلامة وحماية المدنيين الفلسطينين ، والذي فشل لليوم بتقديم هذه المقترحات التي تكفل حماية المدنيين الفلسطينين بموجب التكليف من الجمعية العامة.

ومع ادراكنا المسبق بالدور الذي تقوم به الولايات المتحدة الأمريكية تاريخيا بتوفير الحماية والرعاية والدعم السياسي والدبلوماسي لإسرائيل بالأمم بالمتحدة وهو ما أدى لشلها ومنعها من النهوض بواجباتها ومسؤولياتها لتطبيق القانون الدولي والشرعية الدولية، وعلى العكس من ذلك تأسس نظاما من المعايير المزدوجة بتفيذ قرارات الشرعية الدولية.

ومع كل هذا فإن إدارة ترامب في سعيها المحموم لإضعاف الأمم المتحدة ومؤسساتها وهيئاتها بما في ذلك محاولة استبدالها بمجلس السلام الذي يترأسه الرئيس ترامب شخصيا، ستواصل ذات السياسة وربما في أحسن الاحول ستلجأ الى ضغوط ناعمة على اسرائيل لتخفيض سرعة ومستوى عدوانها وجرائمها حتى لا يشكل ذلك عبئا او احراجا للولايات المتحدة المريكية وهي تعالج ملفات ذات أولوية أستراتيجية مثل ملف إيران وإعادة ترتيب النظام الإقليمي الشرق أوسطي.

القراءة الواضحة للموقف وابعاده ومحاولات شراء الوقت من قبل نتنياهو والتسارع في تمرير خططه ومشاريعه لا يتيح لدولة فلسطين ترف الوقت ولا انتظار نتائج الأنتخابات الإسرائيلية، بما في ذلك نتائج انتخابات التجديد النصفي لكلا من مجلسي الشيوخ والكونغرس مطلع نوفمبر القادم بل يتطلب اتخاذ جملة من الإجراءات الفورية التي تجعل من مهمة كسب الوقت اصعب امام ادارة ترامب ونتنياهو.

نقطة الإنطلاق فلسطينيا بمغادرة مربع الأنتظار والتعامل مع حكومة الثلاثي نتنياهو بن غفير سموتريتش كحكومة ابارتهايد، يجب حصارها ومعاقبتها والأستفادة من تنامي المناخ الدولي الذي لم يعد يحتمل سياسة هذه الحكومة العنصرية المتطرفة، وحث هذه الدول بالانتقال من فرض عقوبات على افراد او منع دخول منتجات المستوطنات لأراضيها، رغم أهمية ذلك فهو ليس كافيا لمحاصرة وتجفيف منابع الإستيطان، بل فرض عقوبات على الحكومة صاحبة هذه السياسات وممولها.

وعليه فإن التوجه لمجلس الأمن بناء على قرار الجمعية العامة عام 2018، وحث الأمين العام للامم المتحدة لتقديم مقترحات حول سبل ووسائل ضمان سلامة وحماية المدنيين الفلسطينين لرفع منسوب التحدي أمام ادارة ترامب وهي تدخل سباق انتخابات التجديد النصفي لمجلسي الشيوخ والكونغرس، وترتب اولوياتها بالمنطقة في ضوء تراجع التوصل لاتفاق مع إيران خلال المدى المنظور.

بالتزامن مع ذلك التوجه الى الجمعية العامة للأمم المتحدة بمناسبة انعقاد دورتها الأعتيادية السنوية لطلب تعليق عضوية إسرائيل بالأمم المتحدة لعدم وفائها بشروط انضمامها للأمم المتحدة بتطبيق قراري الجمعية العامة للأمم المتحدة 181 - 194.

فضفضة في رحاب «الصين تجمعنا»

بقلم: حسني شيلو

على مدار ١٢ يوماً، تلاقت الحضارات والثقافات في جو دافئ من المحبة والاخاء وكأنها عائلة ممتدة تحت سقف واحد، عنوانه الأبرز «الصين تجمعنا».

وما بين العمل الجدي والمزاح، تعرفت الوفود المشاركة من دول وقارات مختلفة على ثقافات بعضها البعض، مثلما واكبت ما حققته جمهورية الصين الشعبية من تقدم واتقان بجهد كبير لأعرق حضارة وبالقلب من ذلك كانت قضية فلسطين حاضرة عبر تضامن فعلي ودعم حقيقي تم بجهود دائرة العلاقات الخارجية للجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني الذي بذل كل جهوده لإنجاح الزيارة الاستطلاعية لمراكز الفكر، سوف نتناولها في مقال لاحق عن التجربة الصينية يتضمن مشاهدات واقعية من مهمة انتشال نحو ٨٠٠ مليون انسان من الفقر ضمن خطة الرئيس شين جين بينغ.

قدرة دائرة العلاقات الخارجية على جمعنا تحت عنوان ولقاءات مختلفة تعتبر لوحدها قصة نجاح، في سياقها، لا أنسي الرفيق سبيسيان من حزب التقدم والنهضة الفرنسي الذي كان مدافعاً ومتضامناً مع القضية الفلسطينية بصدق كلماته ومشاعره، والرفيقة مارثا من الحزب الشيوعي الاسباني التي توشحت بالكوفية الفلسطينية طيلة أيام الزيارة، وبيتر من كينا مدير معهد الدراسات الافريقية الذي كان من اصدقاء فلسطين، إنها رحلة عرفنا عبرها بعض فكانت تجمع اخوة في الصين أكدوا أن بالإمكان أن نكون بحوار وتعاون حضارات ولسنا بصدام.

الشعوب الحرة دوما تتضامن مع قضايا بعضها وتدافع عنها فكان الرفيق من الحزب الشيوعي كردستان العراق نيباز صاحب قضية كما نحن نتبادل وجهات النظر ونحلق في سماء الصين الصافية التي استطاعت ب 65 قومية أن تتوحد خلف قيادة الحزب الشيوعي الصيني لبناء المجتمع العصري الحديث، بينما ما زالت امتنا العربية والاسلامية تتشرذم وتتفت حتى في الدفاع عن القضية الفلسطينية التي يعتبرها جميعهم أولوية وقضيتهم المركزية.

لقد مثل هذا الملتقى بحق، رؤية عميقة تتجاوز الحدود الجغرافية، لتلخص الدور المحوري الذي تلعبه في التقريب بين الشعوب والثقافات، فمن خلال مبادراتها الاستراتيجية كـ «الحزام والطريق»، تحولت بكين إلى نقطة التقاء عالمية تعزز التبادل التجاري، التكنولوجي، والإنساني بين الشرق والغرب، اليوم بفضل هذه الزيارة اكسبنا رفاق جدد من اندونيسا المدافعة عن قضية شعبنا كان احمد زهري يلاحقنا بالاسئلة عن فلسطين واهلها، ومن جزر المالديف ما زال الدعم متواصل وعبر عنه عزم وجيه الذي ارسل لنا المواقف الرسمية تجاه قضية شعبنا وكتب بكل محبة لفلسطين التي يتمنى زيارتها، من اقصى بقاع الارض في استراليا فتح لنا الرفيق ليما ابواب مجلة الحزب الشيوعي الاسترالي لتكون نافذه للرأي العام في استراليا، من احفاد مانديلا شركاء النضال ضد التمييز العنصري الرفيق سيكو قائلا فلسطين حرة ونحن معها في نضالها ضد الفصل العنصري .

وفي المقابل، ويضعك التطور الحاصل في الصين في حيرة من امرك في الكتابة من أين تبدأ وكيف تنتهي فالتفاصيل كثيرة والتقدم متسارع، والقيادة تبحث عن التطور، الرفيق الامين العام شين جينت بينغ، يتفقد احوال المقاطعات باحثاًعن الفقراء لتطوير البلاد والانتقال بحالة العباد من الفقر إلى الرخاء، ونحن ما زال الفقراء يغلقون الشوارع أو يبقفون أمام المقرات الحكومية لإسماع صوتهم ومعاناتهم، هناك تجربة اخرى تبحث عن نقلها بما يتناسب مع خصائص البلدان الأخرى ، لا تفرض الصين رؤيتها بقالب العولمة لتقليدها وفرض هيمنتها بقدر ما تعطيك تجربة وتقول لك « طبق منها ما شئت ونحن نساعدك».

إن من يستطيع أن يجمع هذه الثقافات تحت سقف واحد ويخلق بينها التفاعل وتلخص «الصين تجمعنا» حقيقة واقعية مفادها أن التحديات العالمية المشتركة تتطلب عملاً جماعياً وتكاملاً مستمراً، إن مساعي الصين نحو بناء «مجتمع مصير مشترك للبشرية» تفتح آفاقاً رحبة نحو عالم أكثر ترابطاً، عدلاً، وازدهاراً، حيث تتضافر الجهود لضمان مستقبل أفضل وأكثر إشراقاً للأجيال القادمة.

لا اخفي سراً ذلك الاعجاب بدقة التنظيم وروح الفريق الجماعي الذي كان حاضراً في كل خطوة وفقرة وهمسه من الرفاق في الحزب الشيوعي الصيني صاحب الدعوة، من ابتسامات المترجم الرفيق سالم الذي رافقنا في رحلتنا، إلى جو المنظم وعازف أوركسترا التنظيم، إلى قاسم ابن مدينة نغيشيا الرائعة الذي ابدى التضامن والحب الفعلي لفلسطين، أنت هنا في ضيافة الحزب الشيوعي الصيني خلية نحل تعزف سيمفونية بأجمل الحانها، فقط تشعر بأنك مع اصدقاء تعرفهم منذ سنوات.

بكل منطقة زرناها من قانسو الى بكين الى نيغيشيا الى القرى المجاورة تشعر كأنك في فلسطين انها الصداقة الحميمة التي تجمع الشعبين والبلدين نعم، الصين تستحق قيادة عالم اليوم الذي يبحث عن رؤية قائمة على التعاون والمنفعة المتبادلة وثقافة الحوار واحترام الاخر، والأهم أنها ليس ثقافة استهلاكية وانماط استغلالية بل نموذج حضاري متقدم ما زالت تتمسك بقيمها وثقافتها.

عند الحديث عن هذه الزيارة، فإن كل شيء يحتاج إلى تفصيل أكثر من كلمات لا تف بالغرض، فقد غادرنا الصين مع إحساس بأنها لم تغادرنا، وأصبحنا مجموعة من حول العالم ترى وتكتب بعيون عالمية، وحتى انصف، فإن رفيقي في التدخين جان من حزب الوطن التركي كان أيضا من الذين رافقوني في هذه الزيارة ومن الاوفياء لفلسطين، وكوبال من نيبال اخي وصديقي الذي افتقد روحه المرحه، وسميه من انغولا الذي توشح راية فلسطين مؤكداً ان النصر قريب.

حقا إن «من اتحدت قلوبهم ساروا معا، ومن اتحدت دروبهم تكاتفوا حتى النجاح»، وفي مركزها يقف سعادة السفير سون تشن، مدير مكتب جمهورية الصين الشعبية لدى دولة فلسطين في حفل الاستقبال بمناسبة الذكرى الـ 105 لتأسيس الحزب الشيوعي الصيني وتوليه المنصب الجديد في فلسطين، والتي تؤكد عمق العلاقات التاريخية واستمرارها بين فلسطين والصين، كما عبر عن شعور متبادل شعرنا به بالصين وهو يشعر به في فلسطين، فقال: « على الرغم من بُعد آلاف الأميال بين الصين وفلسطين، لم أشعر بالغربة ولو لحظة. منذ وصولي قبل أسبوعين لتولي المهامي، وكلما تحدثت مع الأصدقاء الفلسطينيين، شعرت بالألفة كأننا أصدقاء قدامى التقوا من جديد»، لغة خطاب واضحة تؤكد مواصلة الصين بالوقوف مع الشعب الفلسطيني وليبقى الشعبان أخوين حميمين وشريكين مخلصين يتبادلان الثقة والدعم، فهذه هي عظمة الصين وقوة خطابها.

مشاريع كبرى تلتهم المنطقة.. نحن ضحاياها

بقلم: د. فريد اسماعيل

تشهد المنطقة صراع نفوذ اقليمي بين ثلاثة مشاريع رئيسية متنافسة: المشروع الاسرائيلي، والايراني، والتركي، حيث يسعى كل طرف لفرض هيمنته الاستراتيجية مستغلا الفراغات الجيوسياسية في العالم العربي، مع الفارق ان إيران وتركيا تنافستا على قيادة المنطقة خلال العقود الأخيرة من خلال خلق توازن استراتيجي وقوده هو المجتمعات العربية بسبب ضعف دولها. ومثلما امتد النفوذ الإيراني بعد غزو العراق إلى بغداد ودمشق وبيروت، حاولت تركيا في المقابل مد نفوذها الى ليبيا، وخلال فترة معينة إلى مصر ومؤخرا إلى سوريا، بينما اختار نتنياهو الدخول من باب الحرب باحتلاله أجزاء من سوريا ولبنان واعتبارها ساحات نفوذ عسكري وأمني إسرائيلية تقطع الطريق على إيران في لبنان وعلى تركيا في سوريا. واختارت إيران توسيع حلقة النار بإغلاق مضيق هرمز واستهداف الدول العربية الخليجية في محاولة لتعويض ما خسرته في المشرق من نفوذ، بنفوذ على مياه الخليج والمنطقة لتصبح هذه الجغرافيا ساحة إيران للمنافسة على زعامتها الاقليمية وخلق واقع جديد تعمل على فرضه على المنطقة.

وبنظرة شاملة، فإن لكل من هذه المشاريع ابعادها ووسائلها. فالمشروع الاسرائيلي يهدف الى تحقيق التفوق المطلق وتغيير خرائط النفوذ الأمني عبر توجيه ضربات مباشرة وتحييد أذرع الخصوم، وبالموازاة السعي للتطبيع والاندماج الاقتصادي والأمني في المنطقة. اما المشروع الايراني فيعتمد على العمق العقائدي والردع الصاروخي وتثبيت قواعد اشتباك تضمن له دور المقرر في ملفات الشرق الأوسط، ويرتكز أيضا على نشر نفوذ ميداني عبر حلفاء اقليميين عمل سنوات على بناءهم. اما المشروع التركي فيستند الى استعادة الحضور التاريخي وبسط النفوذ الاقتصادي والعسكري والأمني (سوريا واذربيجان) على سبيل المثال، ويحاول احتواء التمدد الايراني ومواجهة التغول الاسرائيلي. كذلك فإن تراجع الدور العربي التقليدي خلال العقود الماضية شكل عاملا مساعدا لهذه المشاريع للتحكم ببوصلة التوتر والتسويات في ملفات الإقليم.

لكن في الفترة الأخيرة، شهد الإقليم تصاعدا غير مسبوق للخطاب الإسرائيلي المعادي لتركيا، كما شغلت تركيا موقعا مركزيا في التحليل الإسرائيلي باعتبارها قوة اقليمية مؤثرة تمتلك طموحات سياسية وعسكرية في الشرق الأوسط وتعد منافسا استراتيجيا لإسرائيل في الساحات الاقليمية. فقد ذكرت الباحثة زينب ريبوع من معهد هدسون الامريكي لصحيفة معاريف يوم ١٠-٣-٢٠٢٦ ان الحرب على إيران غيرت بصورة كبيرة مكانة تركيا، إذ أن تراجع النفوذ الإيراني يخلق فرصا جديدة لتركيا لتوسيع حضورها في عدة مناطق. ففي سوريا تواصل انقرة تعزيز وجودها العسكري وتعد نفسها جهة راعية رئيسية للترتيبات السياسية هناك، كما تسعى الى تعميق نفوذها في العراق من خلال علاقاتها مع قوى سياسية محلية ومشاريع اقتصادية وبنية تحتية تربط الخليج بتركيا عبر الأراضي العراقية، كما توسع حضورها في آسيا الوسطى وتزيد من نشاطها الاقتصادي والعسكري في افريقيا.

من جهة أخرى هناك إدراك تركي متزايد لتعاظم النفوذ الإسرائيلي نتيجة الحرب، ويظهر ذلك في الخطاب السياسي التركي الذي يتهم إسرائيل بدفع الولايات المتحدة الأمريكية إلى مهاجمة إيران. وقد انعكس هذا القلق بخطوات عسكرية وسياسية اتخذتها انقرة مثل نشر طائرات مقاتلة في شمال قبرص إضافة الى متابعة التطورات في اذربيجان وساحات أخرى. فقد ذكرت صحيفة يديعوت احرنوت في عددها الصادر في ١٣-٣-٢٠٢٦ ان انقرة تخشى من أن يؤدي اضعاف أو سقوط النظام في طهران الى تعزيز النفوذ الإسرائيلي في المنطقة وإلى تطويق تركيا عبر تحالفات مع اليونان وقبرص وربما مع إيران نفسها في حال تغيير نظامها.

ومع تسارع التحولات في المنطقة ارتفعت وتيرة الصراعات بين أصحاب المشاريع الاقليمية، إذ نشهد منذ فترة هجوما سياسيا واعلاميا شرسا من جانب نتنياهو وأركان حكومته تجاه تركيا. فهو يعتبر ان تركيا بدأت تمثل خطرا متزايدا بسبب مزيج من الطموحات الاقليمية لأروغان ودعمه لبعض القوى في المنطقة، وتخوف إسرائيل التي تعتمد على تفوق نوعي في السلاح لضمان أمنها من فقدان تفوقها العسكري إذا حصلت تركيا على أسلحة متطورة مثل مقاتلات F35، إذ أن أي تقليص لهذه الفجوة يثير قلق المؤسسة الأمنية والسياسية. كذلك فإن لدى نتنياهو الذي يقتات على الحروب حسابات سياسية داخلية، حيث يضخم التهديدات الخارجية لتعزيز صورته كحامي لإسرائيل لا سيما قبيل الانتخابات، ويتخذ من تصريحات أروغان التي تربط أمن تركيا بمدن مثل حلب ودمشق وبيروت، ويتم تفسيرها في إسرائيل كطموح لتوسيع النفوذ التركي في المشرق، ذريعة لاعتبارها تهديدا للأمن القومي الإسرائيلي، ما يجعل تركيا في نظر اليمين الإسرائيلي طرفا معاديا بشكل مباشر. فقد ذكر وزير خارجية دولة الاحتلال بأن تركيا تعمل على بناء محور معادي لإسرائيل، وفي ذات السياق قال وزير الدفاع بأن إسرائيل تراقب عن كثب التعاون العسكري التركي مع روسيا معتبرا أن ذلك قد يفتح الباب أمام تقويض مصالح إسرائيل في سوريا والبحر المتوسط، إضافة إلى بعض الوزراء في اليمين الذين وصفوا تركيا بأنها الخطر الأكبر بعد إيران، بل بعضهم اعتبروها الأخطر لأنها عضو في الناتو وتمتلك قدرة على الوصول الى أسلحة غربية متطورة. هذا التصعيد تم التعبير عنه أيضا بتصويت الكنيست الاسرائيلي مؤخرا على الاعتراف بالإبادة الارمنية، وهو قرار ارادت إسرائيل من خلاله ايصال رسالة صارمة الى الجانب التركي.

رغم ذلك، لا تزال هناك علاقات بين إسرائيل وتركيا، وهناك سفارات وقنوات اتصال رسمية لكن على مستوى منخفض جدا، كما أن التبادل التجاري شبه معلق مع قيود على النقل والشحن.

كل ذلك يشكل انعكاسا للمواجهة الاستراتيجية طويلة الأمد بين المشاريع الكبرى الثلاث في الاقليم، والتي لا زلنا نحن ضحاياها.

4000 حالة إجهاض و385 تشوه خلقي وتراجع المواليد الى الثلث بالنصف الأول من العام الجاري

أطباء: أزمة تهدد النمو السكاني لقطاع غزة» وإسرائيل ترتكب «إبادة جماعية تناسلية» ضد الفلسطينيين

تقرير – نائل موسى

كشفت تقارير صحية موثقة صدرت الأسبوع الماضي، ارتفاع مقلق وغير مسبوق في عدد حالات الإجهاض والاجنة المشوهة قابلها تراجع قياسي في عدد المواليد على نحو بات النمو السكاني في قطاع غزة.

وقالت الصحة في غزة ومنظمات دولية ومحلية أهلية إنسانية وحقوقية تعنى بقضايا الصحة الإنجابية في القطاع حالات الاجهاض ُسجل رقماً قياسياً في النصف الأول 2026 الجاري

ووثقت خلال الشهور الستة الماضية نحو 3,958 حالة إجهاض، ليرتفع بذلك معدل الإجهاض من 64 حالة لكل 1000 مولود حي في النصف الثاني من عام 2025 إلى 208.5 حالات لكل 1000 مولود حي في النصف الأول من عام 2026؛ أي أكثر من ثلاثة أضعاف.

وتظهر الاحصائيات انه في أبريل/نيسان بلغ المعدل ذروته عند 377.25 حالة لكل 1000 مولود حي، بينما سجل يونيو/حزيران 790 حالة إجهاض، وهو أعلى عدد شهري خلال الفترة.

وبينت ان الأشد إثارة للقلق أن 73.6% من حالات الإجهاض وقعت قبل الأسبوع الثالث عشر من الحمل، فيما تشير البيانات إلى أن 57.1% من الحوامل المسجلات يعانين من فقر الدم.

ويعزو الأطباء أسباب ارتفاع عدد حالات الإجهاض وتشوه الأجنة إلى حرب الإبادة الإسرائيلية على القطاع التي سجلت قتلا مباشرا للأجنة أو وفّرت عوامل موتها. متهمين حكومة نتنياهو بارتكاب «إبادة جماعية تناسلية» ضد الفلسطينيين

ويوثق التقرير الذي صدر بعنوان حالات الإجهاض في زمن الحرب والتداعيات الكارثية، الانهيار الوبائي والديموغرافي في قطاع غزة في الفترة بين (يناير/كانون الثاني 2025 وأبريل/نيسان 2026) والذي يؤكد تدهورا حادا في قدرة البيئة الرحمية على دعم حياة الجنين.

وبحسب التقرير الصحي، ان متوسط معدل فقر الدم (الأنيميا) بين النساء الحوامل في غزة، يبلغ ضعف المعدل العالمي، محذرا من أن فقر الدم يجسد انهيار الأمن الغذائي، حيث تستنزف الأمهات بيولوجياً قبل أن يفقدن أجنتهن.

ويسجل التقرير تراجعا في عدد مواليد قطاع غزة، فبينما بلغ عددهم في نوفمبر/تشرين الثاني الماضي 6076 مولودا، انخفضوا في أبريل/نيسان 2026 إلى 2004 مواليد بنسبة تراجع 67%. مشيرا إلى حالة الاستنزاف الجنيني، حيث لم يعد النظام قادراً على تعويض الخسائر البشرية، وبات الإجهاض المستنزف الرئيسي للنمو السكاني.

ورصد التقرير 385 حالة تشوه خلقي لدى الأجنة، عازيا ذلك الارتفاع إلى الحرب، والتجويع الذي تعرّض له القطاع، والنزوح في الخيام، ومصادر المياه الملوثة.

وذكر أن زيادة متوقعة بنسبة 70.7% في حالات الإجهاض خلال 2026، محذرا من أن يكسر يونيو/ حزيران الجاري حاجز الـ 500 حالة إجهاض لكل 1000 مولود، فيما ستواجه نحو نصف حالات الحمل في غزة مضاعفات، مما يعمق أزمة التراجع السكاني غير القابل للاستدراك.

وتبدأ الرعاية الصحية للحوامل قبل حدوث الحمل، وفق استشاري أمراض النساء والولادة الدكتور سهيل أبو مصطفى، إذ تحتاج المرأة إلى نظام غذائي متوازن ومكملات غذائية أساسية، أبرزها حمض الفوليك، الذي يساهم في الوقاية من كثير من التشوهات الخلقية.

وقال إن الحرب والظروف المعيشية القاسية في قطاع غزة حرمت النساء من أبسط مقومات الرعاية الصحية والتغذية السليمة، خاصة خلال فترات المجاعة ونقص الغذاء، ما أدى إلى فقدان أجسامهن عناصر غذائية وفيتامينات ضرورية لنمو الأجنة بشكل طبيعي.

وأضاف أن القطاع الصحي يفتقر حاليا إلى كثير من التجهيزات والمستلزمات اللازمة لرعاية الأطفال الخدج، ما يحد من فرص بقائهم على قيد الحياة في بعض الحالات.

وطالب المؤسسات الدولية والجهات المختصة بإيفاد فرق طبية وبحثية متخصصة لدراسة الأسباب الحقيقية وراء ارتفاع معدلات الإجهاض والتشوهات الخلقية، والعمل على الحد من آثارها الصحية والإنسانية.

ويعزى هذا الارتفاع القياسي في عدد حالات الإجهاض وفقدان الأجنة إلى استمرار الحرب، وسوء التغذية، والانتشار الحاد لفقر الدم (الأنيميا) بين الحوامل، مما يحرم الأجنة من الأكسجين وعناصر النمو الأساسية إضافة إلى النزوح القاسي وظروف الرعاية الصحية المنهارة.

وتواجه النساء الحوامل في قطاع غزة ظروفاً صحية وإنسانية بالغة الصعوبة، في ظل انهيار الخدمات الطبية، ونقص الأدوية والمستلزمات، وتدهور ظروف النزوح التي تشمل سوء التغذية وتلوث البيئة وبالتوازي، تواجه خدمات الصحة الإنجابية في قطاع غزة تحديات قاسية وظروفاً استثنائية أدت إلى انهيار أجزاء واسعة من القطاع الصحي. فيما تقتصر الخدمات المتاحة اليوم على عدد محدود من العيادات المؤقتة ومراكز الرعاية الأولية التي تديرها المؤسسات الدولية والمحلية لتقديم الفحوصات الضرورية.

وتتركز أبرز مراكز ومقدمي خدمات الصحة الإنجابية والأمومة في غزة اليوم حول مراكز الأونروا التي تقدم خدمات رعاية الأمومة وتنظيم الأسرة ومتابعة الحمل والولادة في عدد من مراكز الرعاية الأولية التابعة لها. وصندوق الأمم المتحدة للسكان (UNFPA) الذي يدعم مشاريع مستمرة لتوفير عيادات متنقلة ومراكز رعاية صحية في مناطق النزوح، تنفذها مؤسسات محلية مثل مؤسسة «جذور» لتوفير رعاية ما قبل وبعد الولادة. الى جانب عيادات الجمعيات الأهلية ومنها مركز صحة المرأة: تديره جمعية الثقافة والفكر الحر ويقدم خدمات علاجية وتثقيفية ودعماً نفسياً وقانونياً للسيدات. ومستشفى العودة والمراكز الطبية التي تقدم خدمات الولادة ورعاية الحوامل بدعم من عدة جهات إغاثية.

فيما تقدم وزارة الصحة الفلسطينية خدماتها عبر ما تبقى من مراكز الأمومة

والطفولة وتنظيم الأسرة المتاحة ضمن مديريات الرعاية الصحية الأولية.

وأكدت تقارير هيئة الأمم المتحدة للمرأة، والجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني ووزارة شؤون المرأة استشهاد ما لا يقل عن 38 ألف امرأة وفتاة (شملت 22 ألف امرأة و16 ألف فتاة). وتقدر الإصابات المباشرة بين النساء بنحو 23,769 حالة. فيما تعرضت نحو 11 ألف امرأة وفتاة لإصابات تسببت في إعاقات دائمة مدى الحياة. وهي أرقام قابلة للزيادة في ظل استمرار وجود آلاف المفقودين تحت الأنقاض وصعوبة حصر كافة الضحايا بدقة خلال الحرب

وتحت عنوان غزة تفقد أبناءها قبل أن يروا النور، علق د. منير عبد الله البرش بالقول: في غزة، لم تعد الحرب تقتل من وُلدوا فقط؛ بل باتت تهدد الحياة وهي في بدايات تكوّنها.

وأضاف: هذه ليست مجرد أرقام في سجلات المستشفيات، بل جرس إنذار صحي وإنساني يجب أن يسمعه العالم.

فالمرأة الحامل في غزة تخوض رحلة الحمل وسط الجوع وسوء التغذية وفقر الدم، والنزوح المتكرر، والخوف والضغط النفسي المزمن، وتلوث المياه، وانهيار جانب كبير من خدمات الرعاية الصحية، والنقص الحاد في الأدوية والفحوصات والمتابعة الطبية.

واستدرك: لا يمكن علميًا نسبة كل حالة إجهاض إلى سبب واحد دون دراسات وبائية متخصصة، لكن هذا الارتفاع الحاد وغير المسبوق يستوجب تحقيقًا علميًا مستقلًا وعاجلًا في أثر الحرب والجوع والحرمان والنزوح وانهيار المنظومة الصحية على الحمل والأمومة ومستقبل الصحة الإنجابية في غزة.

إنها ليست إحصائية أخرى تُضاف إلى أرقام الحرب؛ إنها حيوات لم يكتمل طريقها إلى النور، وأمهات يحملن وجع الفقد بصمت، وإنذار بأن المأساة في غزة لم تعد تهدد الحاضر وحده، بل تمتد إلى الأجيال التي لم تولد بعد.

غزة لا تفقد أبناءها الذين وُلدوا فحسب؛ إنها تفقد حيوات قبل أن ترى النور.

وحماية أمهات غزة وأجنتهن ليست قضية طبية فحسب، بل مسؤولية إنسانية وأخلاقية وقانونية تستوجب تحركًا عاجلًا لحماية النساء الحوامل، وضمان الغذاء والدواء والرعاية الآمنة، واستعادة خدمات الأمومة والصحة الإنجابية.

فحين تُهدَّد الحياة قبل أن تبدأ، لا يكفي أن يحصي العالم الخسائر بعد وقوعها.

وفي هذا الإطار، عزا مدير الإغاثة الطبية في غزة بسام زقوت، هذا الارتفاع إلى جملة من العوامل المرتبطة بظروف الحرب والنزوح، من بينها تنقل الحوامل عبر طرق وعرة وبوسائل نقل غير آمنة، وحالة الخوف والهلع المستمر جراء القصف، والنوم في ظروف غير ملائمة، وانعدام المياه الساخنة ومواد النظافة، وانتشار الظروف الصحية المتردية داخل مخيمات النزوح.

وأوضح زقوت أن المنظومة الصحية في القطاع تواجه أزمة متفاقمة نتيجة النقص الحاد في الأدوية والمعدات والمستلزمات الطبية، مؤكدا أن القطاع لا يزال يعمل وفق نظام الطوارئ بسبب القيود المفروضة على دخول الموارد الأساسية والأجهزة التشخيصية والكواشف المخبرية، ما يعيق قدرته على تقديم خدمات طبية كافية أو التعافي من تداعيات الأزمة.

وأشار إلى أن الظروف البيئية المتدهورة أدت إلى انتشار واسع للأمراض والأوبئة، خاصة بين النازحين، مع تسجيل آلاف الإصابات أسبوعيا بجدري الماء، إلى جانب ارتفاع حالات أمراض الجهاز التنفسي والإسهامات الناتجة عن تلوث المياه وتراجع مستويات النظافة الشخصية.

ولفت إلى أن تراجع المساعدات الإغاثية والغذائية ومستلزمات النظافة خلال الأشهر الماضية زاد من معاناة النازحين داخل الخيام التي لا توفر حماية كافية من الظروف المناخية.

وكانت الأمم المتحدة قد قدّرت في بداية الحرب وجود نحو 50 ألف امرأة حامل في قطاع غزة، كن يلدن قرابة 5500 طفل شهريا، فيما كانت أعداد كبيرة منهن بحاجة إلى رعاية طبية طارئة، إلا أن انهيار الخدمات الصحية والقيود المفروضة على القطاع جعلت توفير هذه الرعاية أمراً بالغ الصعوبة.

وسبق وقالت منظمة «آكشن إيد الدولية»، إن هناك ارتفاعا في حالات الإجهاض بين النساء الحوامل في قطاع غزة.

وأوضحت المنظمة أن هذا الارتفاع الذي أكده الأطباء العاملون يعود لنقص الغذاء، والضغط النفسي الناتج عن الخطر المستمر والنزوح الذي يؤثر سلبا على النساء الحوامل.

فيما يزداد عدد النساء الحوامل اللواتي يحضرن إلى المستشفى بسبب النزيف الحاد والمضاعفات الأخرى. في وقت تحدثت فيه تقارير حقوقية عن تدهور متسارع في الظروف الصحية والإنجابية في غزة، حيث أشار تقرير صادر عن التجمع النسوي الفلسطيني إلى أن تدمير المنشآت الطبية واستهداف النساء والأطفال وتدهور البيئة المعيشية أدت إلى ما وصفه بـ«الإبادة التناسلية» بحق الفلسطينيين، معتبرا أن هذه الممارسات تصاعدت منذ اندلاع الحرب في السابع من تشرين الأول/أكتوبر 2023.

كما تناول تقرير للأمم المتحدة حجم الأضرار التي لحقت بالأطفال في غزة، بما يشمل القتل والإصابات والعنف أثناء الاحتجاز وتدمير المدارس والمستشفيات، مشيرا إلى أن آلاف الأطفال فقدوا حياتهم أو أمهاتهم منذ بدء الحرب.

وتأتي هذه التطورات في ظل استمرار انهيار القطاع الصحي في غزة، مع خروج عشرات المستشفيات عن الخدمة، ونقص حاد في الأدوية الأساسية والمستهلكات الطبية والفحوص المخبرية، ما يزيد من صعوبة الاستجابة للاحتياجات الصحية المتفاقمة للسكان، ولا سيما النساء الحوامل والأطفال.

كما ان تزايد ظهور العيوب الخِلقية عند المواليد في غزة من سوء التغذية الحاد ونقص الرعاية الطبية في ظل استمرار حرب الإبادة والتجويع الإسرائيلية على غزة، حيث رصد الأطباء ارتفاعًا في حالات الولادات المبكرة وعيوب القلب والشفاه الأرنبية.

ونقلت الكاتبة «ليليا سيبوي»، في التقرير الذي نشرته صحيفة «تليغراف»، عن طبيبين كبيرين يعملان في غزة إن «سوء التغذية في غزة يؤدي إلى زيادة في العيوب الخِلقية التي تهدد الحياة، بما في ذلك استسقاء الرأس والسنسنة المشقوقة»، حيث يقول الأطباء إنهم لاحظوا زيادة في عيوب الأنبوب العصبي، وهي تشوهات نمو خطرة تؤثر على الدماغ والحبل الشوكي وترتبط بنقص حمض الفوليك أثناء الحمل.

ونقلت عن الدكتور أسعد نواجحة، مختص طب الأطفال في مجمع ناصر الطبي في خان يونس، القول: إنه لم يسبق له أن رأى هذا العدد الكبير من الأطفال المولودين قبل الأوان أو المصابين بعيوب خِلقية، مؤكدًا أن النقص الحاد في المعدات الطبية يجعل علاج الأطفال المولودين بعيوب خِلقية أمرًا شبه مستحيل.

وأوضحت الكاتبة أن دراسات سابقة أظهرت أن الإجهاد المزمن يمكن أن يرفع مستويات الكورتيزول والهرمونات الأخرى لدى النساء الحوامل، مما قد يتداخل مع الحمل ويؤدي إلى الولادة المبكرة، كما أظهرت الأبحاث أن التعرض للسموم البيئية التي خلفها النزاع المسلح يمكن أن يؤثر أيضًا، مما يتسبب في تشوهات خِلقية.

وفي عام 2020، وثقت دراسة استقصائية كبرى ارتفاعًا في كل من العيوب الخِلقية والولادات المبكرة في غزة بعد حرب 2014، ووجدت أنه بين 2011 و2016، تضاعف معدل انتشار العيوب الخِلقية بين المواليد الجدد في غزة تقريبًا، حيث ارتفع من 1.1% إلى 1.8%.

وأفادت الطبيبة روزماري تا ونسند أن الحجم الحقيقي للضرر الذي حدث لم يظهر بالكامل بعد، مشيرة إلى أن ما نراه الآن هو الأطفال الذين تأثروا قبل تسعة أشهر في الرحم، لكن الوضع سيكون أسوأ بكثير بالنسبة للأطفال الذين يتأثرون بالمجاعة في الوقت الحالي.

تل أبيب في ورطة.. ملايين الدولارات لإنقاذ «صورة إسرائيل» بأمريكيا

بقلم: خليل حمد

مع كل قنبلة أو صاروخ كان وما زال يسقط على رؤوس الأبرياء في غزة، كانت صورة «إسرائيل» في الداخل الأمريكي تتهاوى تدريجياً، ومع كل اعتداء أو اقتحام في الضفة الغربية، بدأت الأصوات تتعالى رفضاً للممارسات الإجرامية. المجازر والإبادة والفصل العنصري والاعتقال التعسفي، وكل ما يُمارس بحق شعبنا الفلسطيني أينما كانوا في الأرض المحتلة تحولت إلى حقائق تدركها نسبة كبيرة من الجمهور الأمريكي، الرسمي والشعبي، وبوابة يعبرون من خلالها إلى أصل المشكلة الأساسي منذ 78 عاماً.

والحقيقة أن التراجع الكبير في صورة «إسرائيل» في الداخل الأمريكي ليس مجرّد أزمة إعلامية يمكن احتواؤها بحملة دعائية أو بزيادة الإنفاق على العلاقات العامة، ذلك أن هذا التراجع حدث برغم الماكينة الإعلامية الضخمة وشبكة العلاقات العامة التي تُنفق عليها تل أبيب أساساً ثروة طائلة. بل إن «إسرائيل» نفسها تعتبره يمثل تحولاً استراتيجياً يمس أحد أهم مرتكزات ما تسميه تل أبيب «أمنها القومي» وعلاقاتها الدولية، ومع مَن؟ مع الولايات المتحدة، البيئة التي لطالما صُنفت «صديقة» لإسرائيل. تخصيص ملايين الدولارات الجديدة لإطلاق حملات إعلامية واسعة داخل الولايات المتحدة، يكشف حجم القلق الإسرائيلي من التحولات المتسارعة في الرأي العام الأمريكي.

الانتقاد من سياسيين وأعضاء فاعلين في الحزبين الجمهوري والديمقراطي وصل إلى أرقام غير مسبوقة، وإن كان الديمقراطيون يتفوقون في هذا الأمر على الجمهوريين. تقول الإحصائيات إن 80% من الديمقراطيين ومن يميلون للحزب لديهم نظرة غير إيجابية تجاه «إسرائيل» مقارنة بـ 53% فقط في العام 2022. نفس الاستطلاعات الأحدث التي أجراها مركز «بيو» تؤكد أن 41% من الجمهوريين لديهم نظرة سلبية لـ «إسرائيل»، مع ملاحظة تزايد الانتقادات بين الجمهور الأصغر سناً.

وهذه النقطة الأخيرة هي أكثر ما يثير القلق الإسرائيلي، فالولايات المتحدة ليست مجرد الحليف الأكبر لـ «إسرائيل»، وإنما البيئة السياسية التي تستند إليها في تأمين الدعم العسكري والديبلوماسي والاقتصادي. من هنا فإن أي تغير في المزاج الشعبي والرسمي الأمريكي يُنظر إليه في تل أبيب كإنذار مبكر قد ينعكس مستقبلاً على مواقف صنّاع القرار في واشنطن. شباب اليوم الذين يشاهدون الحقائق عبر وسائل التواصل الاجتماعي أو تقارير المنظمات الحقوقية والإنسانية الدولية أو وسائل الإعلام المستقلة، هم أنفسهم الذين قد يصل أحدهم أو أكثر إلى موقع القرار في يومٍ ما ليس ببعيد.

وصول زهران ممداني مثلاً إلى منصب عمدة نيويورك مع كل ما يمثله من تيار تقدمي داخل الحزب الديمقراطي مستعد لانتقاد السياسات الإسرائيلية على العلن هو مؤشر لما تخشى منه تل أبيب. فالقلق الإسرائيلي لا يتعلق باللحظة الراهنة فقط، وإنما بما قد تحمله السنوات القادمة من تغيرات في البيئة السياسية الأمريكية. فمع اتساع التيار المنتقد لتل أبيب، قد يصبح الدفاع غير المشروط عن السياسات الإسرائيلية أقل إجماعاً داخل الحياة السياسية الأمريكية، ولو بشكل تدريجي، وهو أمر مُقلق كثيراً لتل أبيب.

ومن هنا يمكن فهم الحملة الإعلامية التي كشفت عنها تقارير صحفية، والتي تضمنت الاستعانة بشركات علاقات عامة، واستخدام أدوات تعتمد على الذكاء الاصطناعي، وإطلاق حملات رقمية موجهة للتأثير في الرأي العام الأمريكي. هذه التحركات تعكس إدراكاً إسرائيلياً بأن المعركة لم تعد تدور فقط حول كسب تأييد الحكومات، وإنما أيضاً حول كسب ثقة المجتمعات. غير أن هذه الجهود تواجه تحدياً جوهرياً، فالصورة الذهنية لأي دولة لا تُصنع بالدعاية وحدها، بل تتأثر بالوقائع التي يشاهدها الناس يومياً. وفي عصر الإعلام الرقمي، أصبحت الحكومات أقل قدرة على احتكار الرواية، بينما باتت الصور القادمة من الميدان، وتقارير المنظمات الدولية، والشهادات عبر الإنترنت، عناصر أكثر تأثيراً في تشكيل الرأي العام من الحملات الإعلانية التقليدية.

هذه الحقيقة دفعت مسؤولين أمريكيين سابقين ومحللين سياسيين، وفقاً لموقع بوليتيكو، إلى التشكيك في قدرة هذه الجهود على تغيير الواقع. برأيهم، وهم على حق، فإن المشكلة لا تتعلق بضعف الحملات الإعلامية أو تراجع نشاطات جماعات الضغط، بل بالسياسات الإسرائيلية بحدّ ذاتها. برأي هؤلاء فإن تحسين صورة «إسرائيل» في الولايات المتحدة لن يتحقق عبر حملات العلاقات العامة، بل يتطلب تغييرات فعلية في النهج الإسرائيلي، خصوصا تجاه قطاع غزة والضفة الغربية.

لكن ذلك لا يعني أن الدعم الأمريكي لـ «إسرائيل» مهدد بالانهيار القريب، فالعلاقة بين واشنطن وتل أبيب تستند إلى شبكة واسعة من المصالح الأمنية والعسكرية والاقتصادية. إلا أن تراجع التأييد الشعبي قد يجعل الدفاع عن السياسات الإسرائيلية أكثر كلفة سياسياً بالنسبة لصناع القرار الأمريكيين. مزاج الناخب الأمريكي الذي كان ينتخب أي مرشح بناء على موقفه «الإيجابي» من إسرائيل» قد يتغير نحو اتخاذ قرار بخصوص مرشح بناء على انتقاده الواضح للسياسيات الإسرائيلية، وهذا يمثل أكبر مخاوف تل أبيب اليوم.

الخطورة على القضية الفلسطينية في هذه الناحية تكمن في التركيز على أن أسباب التراجع الإسرائيلي مرتبطة بحكومة رئيس الوزراء الحالي بنامين نتنياهو، وبالتالي فإن تغيير هذه الحكومة أو التغيير فيها يمكن أن يوهم الرأي العام الأمريكي أو جزءاً منه بالعودة إلى رأيه السابق. وهنا تقع على الجبهة الداعمة لفلسطين والمؤمنة بحقوق شعبنا مهمة توضيح أن المشكلة في المنطقة ليست مرتبطة بحكومة إسرائيلية معنية أو بمسؤول بعينه، بل إنها مرتبطة بعقلية الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة.

في النهاية، تبدو معركة الصورة والرأي العام اليوم امتداداً لمعركة السياسة والتحالف العسكري العدواني. فـ «إسرائيل» تدرك أن خسارة الرأي العام، خاصة بين الأجيال الجديدة، هي تغيير مؤجل في السياسات، فهي قد تؤسس لتحولات تدريجية غير ملحوظة بشكل صارخ، لكن آثارها بعيدة المدى قد تكون أكبر من أي حملة إعلامية، مهما بلغت ميزانيتها أو تطور أدواتها.

أعلام فلسطين.. حضور سياسي في قلب المونديال

بقلم: عائدة عم علي

ان تكون فلسطين برمزيتها حاضرة في المحافل والمباريات الرياضية الكبيرة، وتحول الملاعب العالمية بما فيها بطولات كأس العالم إلى منصات كبرى للتعبير عن الرأي العام العالمي المساند، يؤكد مركزية القضية الفلسطينية كرمز للتحرر، ويعكس التناقض بين موقف الشعوب المتضامنة والأنظمة عدا عن الدلالات السياسية والإنسانية والاجتماعية العميقة التي تتجاوز حدود المستحيل ووعي الشعوب المستمر بحقوق الشعب الفلسطيني.

ولطالما ارتبطت ذكريات كأس العالم بشن إسرائيل حربين على المقاومتين الفلسطينية واللبنانية في 1982 و2006، فإن مونديال 2026 جاء في وقت تشهد فيه الأراضي الفلسطينية ملاحم بطولية في غزة والضفة الغربية ضد قوات الاحتلال التي صعدت من قمعها وإرهابها للفلسطينيين بالتزامن مع حكومة صهيونية هي الأكثر يمينية وتطرفا في تاريخ الاحتلال.

الاحتفالات بفوز المنتخب الإسباني ببطولة كأس العالم لم تقتصر على أرجاء إسبانيا فحسب، بل عمت أيضا مساحات واسعة من العالم العربي، ولا سيما في فلسطين في مشهد تشجيع لا يحصى من غزة الجريحة التي تقاس فيها يوميات الحياة بأعداد الشهداء مرورا بالقدس والضفة الغربية وصولا إلى كل المدن والقرى الفلسطينية لأبطال اسبانيا.

التأييد العارم للمنتخب الإسباني يرتبط ارتباطا وثيقا بموقف الحكومة الإسبانية والمدافع عن الحقوق الوطنية الفلسطينية وإدانة الإبادة الجماعية التي تقترفها إسرائيل في قطاع غزة، حيث لم تنفك حكومة بيدرو سانشيز على امتداد السنوات الماضية مرارا وتكرارا بفرض عقوبات على حكومة نتنياهو إزاء ما ترتكبه من جرائم حرب، وجرائم ضد الإنسانية.

كذلك دور إسبانيا وإعلانها الرافض للاحتلال الإسرائيلي وما يرتكبه من جرائم قتل وتدمير والتي وصفتها أعلى القيادات السياسية في الدولة الإسبانية بأنها جرائم إبادة واتهام إسرائيل بـ «القتل العشوائي لآلاف الأطفال في غزة». الأمر الذي نده ملك اسبانيا فيليبي السادس أيضا في 16سبتمبر بما يعيشه الفلسطينيون في غزة من «معاناة تفوق الوصف»، في تصريحات أثناء زيارته للقاهرة، من أن الهجمات الإسرائيلية «أسفرت عن عدد كبير من الضحايا، وتحولت إلى أزمة إنسانية لا تحتمل ومعاناة تفوق الوصف لمئات آلاف الأبرياء ودمار كامل لقطاع غزة».

ولا نغفل تصريحات سانشيز المتزامنة مع الاعتراف بدولة فلسطين، في عام 2024 عندما تحدث رئيس الحكومة الإسبانية أمام مجلس النواب قائلا: «لقد حان وقت الانتقال من القول إلى الفعل، نؤكد للفلسطينيين وقوفنا إلى جانبهم، وأن الأمل لا يزال قائما. ومهما طال القصف لقراهم ومدنهم، فإن أرض فلسطين وهويتها ستبقيان راسختين في قلوبنا وفي أروقة الشرعية الدولية». ما دفع إسرائيل إلى استدعاء سفيرها لدى مدريد وخفض تمثيلها الدبلوماسي إلى مستوى القائم بالأعمال.

وبعدها بيومين تزامن هذا التأييد مع رفض إسبانيا على لسان وزير خارجيتها خوسيه مانويل ألباريس السماح لسفينة تحمل شحنة أسلحة متجهة إلى إسرائيل، بالرسو في ميناء قرطاجنة، (Cartagena) رافضة السماح للسفن التي تحمل أسلحة لإسرائيل بالرسو في موانئها. إضافة الى أن الرفض هذا يتسق مع قرار الحكومة بوقف منح تراخيص تصدير الأسلحة لإسرائيل منذ بداية

الحرب، مع الإشارة إلى أن هذه السياسة ستُطبق بشكل منهجي وحازم على أي سفينة تحمل أسلحة لإسرائيل.

ولا ننسى حرب أكتوبر 1973 عندما منعت إسبانيا، الولايات المتحدة من استخدام قواعدها العسكرية لإرسال الأسلحة إلى كيان الاحتلال ما يؤكد ان مدريد أبقت على دعمها للحق الفلسطيني، ورفضها سياسات الاحتلال الإسرائيلي في فلسطين، لا سيما بعد نكسة يونيو 1967 عندما استنكرت إسبانيا الاحتلال الإسرائيلي للأراضي العربية، وجعلت التقارب الدبلوماسي مع إسرائيل مرهونا بالانسحاب منها، إضافة إلى تدويل قضية مدينة القدس.

المباراة النهائية لكأس العالم بين إسبانيا والأرجنتين يبدو أنها تخطت أبعادها الرياضية لتكتسب زخما سياسيا قويا، إذ عكست موقفين متباينين بوضوح إزاء الصراع الاستعماري الفلسطيني الإسرائيلي. حيث وقف الرئيس الأرجنتيني خافيير ميلي، على النقيض الأيديولوجي لسانشيز ليعلن في مناسبات عدة عن فخره بصهيونيته في العالم وتعزيزه تحالفا استراتيجيا مع الاحتلال المجرم عبر توقيع «اتفاقيات إسحاق».

لا شك ان العلم الفلسطيني في كأس العالم بات من أبرز الرموز حضوراً ومن أكثرها استهدافاً في مباريات كأس العالم المُقامة على الأراضي الأمريكية لاسيما بعد مضايقة عدد من المشجّعين المتضامنين مع فلسطين الذين كانوا يحملونه داخل الملاعب من قبل عناصر الأمن المطالبين بإزالته أو تحمّل مصادرته، على الرغم من أنّ لوائح FIFA تُجيز صراحة رفع الأعلام الوطنية داخل الملاعب.

وعلى الرغم من هذه الاستفزازات الا أن الفلسطينيون وجدوا هذه المرة دعما كبيرا لهم برفع الأعلام الفلسطينية، ليس فقط في المدرجات والهتاف لفلسطين، بل من خلال التوشح بالعلم الفلسطيني.

ولم يكن هذا أمرا رمزيا ولا تفاعلا عابرا، ولكنه تعبير حقيقي عن مكانة فلسطين في الأمة، كما أنه مرتبط بما يسطره الشعب الفلسطيني يوميا من بطولات وتضحيات وتصدٍ للاحتلال يجعل جماهير الأمة على تماس وتفاعل معه، لا سيما أنها ترى حجم البطش والقتل الصهيوني وانتهاك المقدسات.

هذا يؤكد من جديد أن قضية الشعب الفلسطيني تفرض حضورها في قلوب ووجدان شعوب الأمة، على الرغم من الجراحات والآلام التي تتعرض لها في ظل أنظمة فاسدة مستبدة، وحتى في المناسبات الكروية التي يحضرها العالم للمتعة والتسلية، كانت قضية فلسطين في قلب المشهد.

بقلم: محمد علوش

جمال هماش..
الغياب الذي لا يهزم الحضور

ثمة رجال لا يرحلون حين تغيب أجسادهم، لأنهم يتركون في الذاكرة الوطنية ما هو أبقى من العمر، وما هو أعمق من الكلمات، يرحلون، لكن أصواتهم تبقى في ضمير رفاقهم، وخطواتهم تظل مرسومة على دروب النضال، وسيرتهم تتحول إلى جزء من التاريخ الحي الذي يصنع هوية الشعوب.

كان الرفيق جمال هماش واحداً من هؤلاء، لم يكن مجرد اسم في سجل تنظيمي، ولا مسؤولاً في موقع حزبي أو نقابي، بل كان نموذجاً للمناضل الفلسطيني الذي أدرك منذ وقت مبكر أن الوطن لا يبنى بالشعارات، وإنما بالالتزام، وأن التنظيم لا ينهض بالخطابات، وإنما بالعمل اليومي الصامت، وبالإيمان العميق بالناس وقضاياهم.

في زمن أصبحت فيه السياسة عند كثيرين طريقاً إلى الامتياز، بقي جمال هماش مؤمناً بأن السياسة رسالة، وأن النضال مسؤولية أخلاقية قبل أن يكون موقفاً تنظيمياً، لذلك لم يعرفه رفاقه إلا قريباً من العمال، ومن أبناء المخيمات، ومن البسطاء الذين رأى في كرامتهم معياراً حقيقياً لكرامة الوطن.

لقد آمن بأن القضية الفلسطينية لم تكن يوماً قضية حدود فحسب، بل قضية إنسان، وأن التحرر الوطني لا يكتمل ما لم يقترن بالعدالة الاجتماعية، وبحق العامل في حياة كريمة، وبحق الفقير في الأمل، وبحق الشباب في مستقبل يليق بتضحيات شعب قدم من الشهداء والأسرى والجرحى ما لم يقدمه شعب آخر دفاعاً عن حريته.

ومن هنا، لم يكن عمله في جبهة النضال الشعبي الفلسطيني نشاطاً تنظيمياً مجرداً، بل كان امتداداً لقناعة راسخة بأن الأحزاب الوطنية والديمقراطية وجدت لتكون بين الناس، لا فوقهم، ولتدافع عن مصالحهم، لا عن مصالحها، حمل مسؤولياته بتواضع المناضلين الحقيقيين، وأسهم في بناء العمل التنظيمي، وترسيخ حضوره، وكان مثالاً للرفيق الذي يقدم الواجب على المكسب، والمسؤولية على المكانة.

وفي اتحاد نضال العمال الفلسطيني، لم يكن العمل النقابي بالنسبة إليه مجرد دفاع عن مطالب مهنية، بل كان جزءاً من معركة الصمود الوطني، وكان يدرك أن العامل الفلسطيني يواجه احتلالاً يصادر الأرض، ويستهدف الإنسان، ويقوض الاقتصاد، ويجعل من لقمة العيش ساحة أخرى من ساحات المواجهة، لذلك ظل منحازاً للعمال، مدافعاً عن حقوقهم، مؤمناً بأن العدالة الاجتماعية ليست مطلباً ثانوياً، بل شرطاً أساسياً لبناء مجتمع قادر على الصمود والتحرر.

لم يكن جمال هماش من أولئك الذين يملؤون المنابر بالحديث عن الوطن، ثم يغيبون عند الحاجة، وكان من الرجال الذين يتقدمون الصفوف حين تستدعيهم المسؤولية، ويؤمنون بأن العمل الصامت أكثر بلاغة من الضجيج، وأن قيمة الإنسان بما يتركه من أثر في حياة الآخرين، لا بما يحصده من ألقاب.

إن خسارة مناضل من هذا الطراز ليست خسارة تنظيم وحده، ولا خسارة الحركة النقابية وحدها، بل هي خسارة لذاكرة وطنية تشكلت عبر عقود من الكفاح، ولجيل آمن بأن الانتماء ليس بطاقة عضوية، بل أسلوب حياة، وأن الوفاء للقضية لا يقاس بما يقال في المناسبات، وإنما بما يقدم في الميدان.

واليوم، ونحن نودع الرفيق جمال هماش، فإننا لا نستعيد سيرته من باب الحنين، بل من باب المسؤولية، فالأوطان التي تنسى مناضليها تفقد بوصلتها، والحركات الوطنية التي لا تحفظ ذاكرة رجالها تفقد قدرتها على تجديد ذاتها، لذلك، فإن أفضل وفاء لهذا المناضل هو أن نبقى أوفياء للمبادئ التي عاش من أجلها: الحرية، والعدالة الاجتماعية، والوحدة الوطنية، والديمقراطية، والانحياز الدائم للفقراء والعمال والكادحين.

لقد عاش جمال هماش مؤمناً بأن فلسطين ستنتصر، وأن شعبها، مهما طال الاحتلال، سيواصل الدفاع عن حقه في الحرية والاستقلال، ولم يكن هذا الإيمان شعاراً يردده، بل ممارسة يومية جسدها في حياته التنظيمية والنقابية والوطنية، وفي علاقاته الإنسانية التي اتسمت بالتواضع، والصدق، ونبل الأخلاق.

رحل الرفيق جمال هماش، لكن المناضلين الحقيقيين لا يغيبون، يبقون في ذاكرة رفاقهم، وفي ضمير شعبهم، وفي المؤسسات التي أسهموا في بنائها، وفي القيم التي عاشوا من أجلها، ويبقون لأن الأوطان لا تحفظ أسماء الذين مروا عابرين، وإنما تحفظ أسماء الذين جعلوا من حياتهم رسالة، ومن نضالهم عهداً لا ينكسر.

سلاماً لروحك أيها الرفيق العزيز، وسلاماً لكل مناضل آمن بأن فلسطين تستحق العمر كله.

الأخيرة

المشرف العام: د. احمد مجدلاني رئيس التحرير: حسني شيلو مدير التحرير: محمد علوش

هيئة التحرير: عايدة عم علي، د. فريد إسماعيل، خليل حمد، نائل موسى، انور أبو مور